قيام دولة القراخطاي واتساعها في آسيا الوسطى

م٠د٠فاضل كاظم صادق/ عميد كلية الآداب– جامعة ذي قار
thiqaruni.org

د٠عباس خميس عبود / كلية التربية– جامعة القادسية

آسيا الوسطى اقليم واسع يمتد من غرب سيبريا شمالاً الى شمال شرق ايران وافغانستان (خراسان) جنوباً ،ومن شمال الصين شرقاً الى بحر قزوين غرباً، اي المنطقة التي تغطي معظم اراضيها الجمهوريات الاسلامية الخمس المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق وهي كل من جمهورية (قرقيزستان واوزبكستان وكازاخستان وطاجيكستان وتركمانستان)وهذه المناطق عرفت تاريخياً عند العرب المسلمين ،بـ:ما وراء النهر واقليم كاشغر وفرغانة وبلاد الترك الممتد بين بلاد الاسلام وامبراطورية الصين ،وبما انه لايوجد مصطلح تاريخ اسلامي جامع لهذه المنطقة؛اقتضت الضرورة ان يكون المصطلح الحديث(آسيا الوسطى)جامعاً ،وتقدر مساحة آسيا الوسطى ضمن هذه الحدود بـ ٦٠٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع .

التعريف بالقراخطاي وتحديد موطنهم الاصلي٠

ان اصل القراخطاي من الامور التي شغلت بال المورخين قديما" وحديثا" ومعظم الدراسات التي تناولت اصلهم اكدت ان القراخطاي من العنصر التانكوتي (Tanguts) السائد في منشوريا شمال غرب الصين ضمن قبائل سيان – بي(Hisian-pi) القريبة النسب من القبائل المغولية (١)

برز القراخطاي قوة عالمية ذات شهرة واسعة حين سيطروا على شمال غرب الصين في القرن العاشر الميلادي / الرابع الهجري فعرف شمال الصين باسمهم أي بلاد الخطا(٢) وانشاوا امبراطورية امتدت من جزر اليابان والمحيط الهادي شرقا" الى جبال الالتاي غربا" من بحيرة بيكال شمالا" الى الحدود الشمالية لامبراطورية السونغ (Sung) جنوبا" التي عرفت ب: امبراطورية الكيتان نسبة الى قبائلهم وعرفت في التاريخ الصيني بسلالة لياو(Liao Dynasty) (٣)

استغل الكيتان أوضاع الصين المتردية على اثر سقوط امبراطورية التانغ(Tang) في بداية القرن العاشر الميلادي /الرابع الهجري واخذوا يتدخلون في شؤون الصين وطالبوا بعرش الصين باعتبارهم اكبر قوة في شمال غرب الصين وخاضوا عدد من الحروب مع الدويلات التي قامت على أنقاض إمبراطورية التانغ (٤)

ان انغماس الكيتان بالتيارات المدنية اذ بهرتهم المدينة والحضارة الصينية حتى ان اباطرتهم اتخذوا القاب صينية افقدهم روحهم الحربية ومميزاتهم العسكرية والقتالية التي كانوا يتمتعون بها في بداية امبراطوريتهم (٥) وهذا الامر مكن احدى القبائل الرعوية التي تنتمي الى العنصر نفسه الذي ينتمي اليه الكيتان والتي كانت تستقر في منشوريا وتسمى جورجين (Jurchen) الذين كانوا في الماضي تابعين لهم من اسقاط امبراطوريتهم وتأسيس امبراطورية جديدة عرفت باسم امبراطورية جين الذهبية (Kin Empire) (٦)

نجح احد افراد السلالة الكيتانية الذي عرف في المصادر الصينية (يه-لو تاشي (Yalu-Dashi) وفي المصادر

الاسلامية بـ(توشي تقيو) في الخلاص من المقصلة التي اقامها ابجين ضد الكيتان،

ثم اتجه نحو الغرب عام (٥١٤هـ/ ١١٢٠م) املاً في الحصول على مساعدة من القوى الموجودة في آسيا الوسطى التي كانت في الماضي خاضعة لنفوذهم ؛ لاستعادة ملك ابائه الضائع (٧)

رحلة يه ـلو- تاشي(Yalu-Dashi)الى الغرب وقيام دولة القراخطاي

ينحدر يه ـلو – تاشي من السلالة الحاكمة الكيتانية ، فهو من الجيل الثامن لمؤسس الامبراطورية تاي زو(T ai Zu) اذ كان يه-لو-تاشي يتميز بثقافته العالية ، فانه ثقف نفسه بثقافة عصره الذي تسوده الحضارة الصينية في ذلك الوقت ويذكر تاريخ أسرة لياو (Liao Shih) ، انه كان ضالعا" في الأدب الكيتاني ،والصيني ، وكان ماهرا" فضلا" عن كونه فارسا" شجاعا" ورواميا" ماهرا"،وإداريا" محنكا" حظي بحب الشعب الكيتاني والجيش الإمبراطوري (٨)

برز دور يه-لو- تاشي في الأحداث السياسية لامبراطورية الكيتان ، منذ وقت مبكر اذ كان حاكما" للأقاليم الشمالية الشرقية من امبراطورية الكيتان واثناء هجوم قبائل الجورجن على الامبراطورية ،تحمل يه-لو تاشي عبىءالمسؤولية حيث لاذ احد اباطرة الكيتان تين زو(-Tein Zu) (١١٠١-١١٢٥ م) (٤٩٥-٥١٩هـ) بالفرار تاركا" عرشه وامبراطوريته فريسة سهله لفرسان قبائل الجورجن ، ولأجل إنقاذ الموقف اسرع يلو داشي باجلاس احد امراء الاسرة الكيتانية الحاكمة والمدعو شوان (Shuan) على عرش الامبراطورية الكيتانية ، الاان شوان سرعان ما توفي فاجلس زوجة شوان ولقبت بـ: الامبراطورة سياو تي (-Siao Te) هذه الامبراطورة لم تستطع الوقوف بوجه فرسان الجورجن الذين باتوا قريبين من العاصمة الكيتانية ، فما كان من الامبراطورة حتى هربت لاجئة لدى الامبراطور (تين زو) الذي امر بإعدامها في ما بعد (٩)

ادرك يه- لو تاشي (Yalu-Dashi) خطورة بقائه في البلاط الكيتاني في ظل تذمر الامبراطور الكيتاني (تين زو) من تصرفه بتنصيب (شوان) امبراطوراً على الكيتان وهو مازال على قيد الحياة فجاء رد يه ـلو ـتاشي عنيفا" محملا" اياه مسؤولية سقوط الامبراطورية وتقاعسه عن الدفاع عنها والهروب لاجئا" بحياته تاركا" الشعب يعاني الكوارث (١٠) وفي الوقت نفسه اقنع بعدم جدوى الاعتماد على الامبراطور في استعادة ملك إبائه الضائع ،لذا اطلق لنفسه العنان واتجه نحو الشمال مع عدد من الفرسان قدر عددهم بنحو مائتي فارس من خلص إتباعه للحصول على المساعدة العسكرية من القبائل الرعوية والتي كانت في الماضي تخضع لسلطان الكيتان، لذا زودوه بالأفراس والجمال والحقهم في جيشة (١١)

لم تكن القوة التي حصل عليها (يه-لو- تشي) من تلك القبائل كافية لتحقيق مايصبو اليه وهو العودة الى شمال غرب الصين؛ لمواجهة امبراطور الجين والاطاحة بسلالتها الحاكمة لاسيما ان الجيش الكيتاني كان يجوب سهول آسيا الوسطى باحثا" عنه ، لذا كانت به حاجة الى مزيد من القوات والاحلاف ،فقرر الاستمرار في رحلتة نحو الغرب أي آسيا الوسطى بعد ان ضحى بالثور الاسود والحصان الابيض الى السماء والارض واسلافه ليحصل على مباركتهم في رحلته وكانت هذه العادات والتقاليد السائدة بين القبائل الرعوية في آسيا الوسطى وشمال غرب الصين (١٢)

اختلفت المصادر الاسلامية عن المصادر الصينية في سرد احداث الرحلة فالمصادر الاسلامية تذكر ان يه ـلو ـتاشي مر بأراضي القرقيز الذين سببوا المتاعب قبل ن يصل الى بلاد الايغور ، اذ دخل حروب ومناوشات عسكرية مع قبائل القرقيز البدوية ، اجبر على اثرها الى التراجع الى منطقة نهر اميل(*١) فاستقر هناك وشيدوا لهم مدينة مازالت اثارها قائمة ، وفق رواية الجويني حتى القرن ٧هـ/ ١٣م أي الى عصر الجويني (١٣)

بينما تذكر المصادر الصينية ان ايه-لو تاشي توجه مباشرة الى بلاد الايغور وذكر بارتولد انه اذ ما تمت المقارنة بين المصادر الاسلامية والمصادر الصينية عن رحلة القراخطاي نحو الغرب نجد ان المصادر الاسلامية اكثر وضوحا" وتفصيلا" من المصادر الصينية (١٤) ويمكن ان نجد ذلك واضحا" من خلال سير الاحداث وعلى أي حال ، ان ما

ان وصل يه- لو- تاشي بلاد الايغور حتى بعث الى حاكمهم ايديقوت (صاحب الملكة المقدسة) (١٥) مذكرا" اياه بالعلاقات التي كانت بين اسلافه واسلافهم طالبا" منة السماح له بالعبور عبر بلادة (١٦) وما ان وصلت رسالة يه- لو –تاشي الى البلاط الايغوري وبعد ان احسن وفادته وبالغ في اكرامه ولما اقترب وقت الرحيل قدم اليه ايد قوت الهدايا والمساعدات معلنا" خضوعه له (١٧) بينما نجد المصادر الاسلامية لم تؤكد خضوعه ، اذ يذكر الجويني ان ايه-لو-تاشي بعد اخضاعه القراخانيين اتجةنحو (بيشباليق*٢) فأخضعها(١٨)

ورواية الجويني تبدو هنا اكثر دقة من المصادر الصينية لانه ليس هنالك سببا" يدعو حاكم الايغور الايدي قوت على الخضوع للقراخطاي وهم في طور التكوين ولا يمتلكون القوة الكافية بل ان يه-لو-تاشي جاء يطلب المساعدة من جهة أخرى واذا كان حاكم الايغور قد اعلن التبعية ما الداعي ان يقوم يه-لو- تاشي بقيادة حملة عسكرية بنفسة على دولة الايغور مرة اخرى...

استمر يه – لو –تاشي بالسير في رحلتة في اسيا الوسطى واثناء مسيرة انضوت تحت حكمه الكثير من القبائل الرعوية سواء اكان ذلك بقوة السيف او التي خضعت له طواعية (١٩) فذكر رشيد الدين فضل الله ان يه- لو –تاشي كان رجلا" عاقلا" ذا ارادة وعزيمة نافذتين وادارة حازمة يعرف كيف يدير شؤون قبيلته بكل حنكة ودراية فجذبت هذه الصفات الحميدة الكثير من القبائل الرعوية التي انضمت تحت رئاسته راضية مختارة(٢٠)

اقترب يه-لو –تاشي من اقليم التركستان(*٣) الذي كان يعاني من فوضى سياسية واجتماعية اذ استمرت هجمات القبائل التركية الرعوية وخاصة قبائل القارلوق في الشمال والجنوب فاستطاعت هذه القبائل ان تشيع الفوضى في أملاك القراخانيين الذين أمسوا أكثر ضعفا" اذ ان اعتماد القراخانيين على النظام الرعوي او مايعرف بنظام الالتاي أي انقسام الخانية الى قسمين شرقي وغربي ولكل خانية خانها الخاص ومن ثم انقسام كل خانية الى اقطاعيات صغيرة تدار من قبل بعض الاسر ادى الى كثرة التمردات والمحاولات الانفصالية خلال مرحلة اعتلاء عرش الخانية خانات ضعفاء (٢١) كل هذا ادى الى استنجاد القراخانيين بالقبائل التركية الرعوية سواء من الخان او من الامراء المتمردين فزاد هذا الامر من تدخل القبائل في شؤون القراخانيين ، وفي ظل هذة الاوضاع استمر ايه-لو –تاشي في رحلتة حتى بات قريبا" من بلاسغون عاصمة القراخانيين الشرقيين اذ ذكر ابن الاثير في رواية شديدة الاختصا ر والغموض ، ان ايه-لو-تاشي اثناء رحلته صادف قافلة تجارية كبيرة فامر اصحابه بالقبض على اصحاب القافلة واشترط لاطلاق سراحهم ان يدلوه على مكان مناسب غني بمراعية يكفي وابة ومواشية وان يكون فسيحا" جدا" لكي يستوعب عددهم الهائل وقد ارشدة اصحاب القافلة على منطقة بلاسغون ذات المراعي الغنية الواسعة الارجاء(٢٢) .

استنجد خان بلاسغون ابراهيم الثاني (٥٢٢-٥٥٢ هـ/١١٢٨-١١٥٨م) بالامير الكيتاني يه –لو- تاشي لاجل تخليصة من قبائل القارلوق فوجد يه-لو-تاشي في هذه الدعوة فرصة سانحة لدخول المدينة وبعد ان اخضع قبائل القارلوق دخل يه-لو-تاشي مدينة برسغون منهيا" حكم القراخانيين فيها اذ منح الخان ابراهيم خان الثاني لقب (ايلي تركمان)(٢٣) الذي سرعان ما ارسله لمقاتلة القارلوق الذين تمردوا على سلطة الكورخان حين طلب منهم ترك السلاح والعمل في الزراعة وقتل في احدى المعارك معهم اخذ يه-لو- تاشي يوسع املاكه على حساب القراخانيين فحاول دخول مدينة كاشغر الان خان كاشغر احمد بن الحسن (٤٩٦-٥٢٢هـ/١١٠٣-١١٢٨م) نجح في هزيمة يه-لو-تاشي على مسافة مسيرة ايام قليلة من كاشغر عام ٥٢٢هـ/١١٨م، فاخر تقدمهم نحو الغرب(٢٤)

سرعان ما استطاع يه-لو- تاشي ان يضم كاشغر ومدينة ختن(*٤)بعد ان تمكن من انتزاعها من القراخانيين ونجح في ردع القبائل الرعوية المغيرة على هذه المدن ومن ثم نقل عاصمته الى كاشغر(٢٥) وارسل الحملات ضد قبائل القرقيز،انتقاما منها لقاء ما عاناه منهم في رحلته وسار هو على رأس جيش كبير متوجها" نحو بلاد الايغور فأخضعها وبعث حملة باتجاه فرغانه(*٥) وبذلك انتشرت حملاته حتى شملت معظم آسيا (٢٦) بينما تذكر المصادر الصينية ان يه-لو- تاشي بعد ان دخل بلاسغون جهز حملة عسكرية كبيرة واسند

قيادتها لاحد امراء الاسرة الكيتانية ووجهه باتجاه صحراء منغوليا لفتحها معللا ذلك لن هذه الارض لم تكن يوما" ما لشعبة وان ارض شعبة تركت وراءه الا ان هذه الحملة لم يكتب لها النجاح (٢٧) ويبدو ان اه-لو-تاشي لم ينسى مسالة استرجاع ملك ابائه الضائع فباءت محاولاته بالفشل فجعله يولي اهتماما" بالملك الجديد الذي انشأه في اسيا الوسطى.

نجح ايه-لو- تاشي في ان يحل نفوذه محل اهل البلاد الاصليين وان يوسع ملكة شرقا" وغربا فامتدت دولة القراخطاي من صحراء غوبي الى نهر سيحون ومن هضبة التبت الى سيبيريا (٢٨) ومن ثم اتخذ يه-لو- تاشي لقبا" تركيا"وهو (كورخان) (٥١٤-٥٣٨هـ/١١٢٥-١١٤٣م) الذي لايخرج معناه عن الخان الشجاع ،البطل ، المنتصر ، العالمي ، ومن ثم وزع الالقاب الامبراطورية على افراد اسرته و قادته (٢٩) معلنا" بذلك قيام دولة القراخطاي التي استمرت قرابة القرن من الزمان (٣٠) اما عن اصل كلمة القراخطاي فيرى بعض المؤرخين ن انها تعني الخطا السود التي اطلقت عليهم من قبل المغول بسبب عداوتهم لهم (٣١)

ان اصل الكلمة لايمكن ان يفسر على هذا المنوال لان مصطلح (قرا) لاتعني بالضرورة اسود فهي تستخدم احيانا" في المصادر التركية للدلالة على طول الطريق والمسافة البعيدة اضافة الى ذلك تستخدم للدلالة على القوة العظمى (٣٢) اما بخصوص ان التسمية اطلقت عليهم من قبل المغول بسبب العداء فهو امر لا يمكن الجزم بة لان جنكيز خان في بدايات فتوحاتة استعان بالكيتان (الخطا) وكان ابرز قائدين لدية من اصل كيتاني كما ان احدى حجج جنكيز خان لمهاجمة اسرة الجين هو بداعي الانتقام منهم لانهم كانوا السبب في طرد الكيتان من شمال غرب الصين بداية القرن ٦هـ /١٢م لذا استقبل جنكيز خان الامراء المتبقين من اسرة لياو (الكيتان) الذين ساعدوه خلال حملتة على شمال الصين للإطاحة باسرة الجين (٣٣) كما ان جنكيز خان استفاد من امراء اسرة القراخطاي المنهارة في اسيا الوسطى في الادارة المدنية للمناطق التي فتحها اذكان أ-هاي (A-hah) حاكم سمر قند المدني وابنة يه-لو-مين –سو (Yeh-lu-Mien-ssu) حاكم بخارى من القراخطاي (٣٤)

فمصطلح القراخطاي هنا تعني الخطا العظماء او الاقوياء اما في المصادر الصينية فعرفت دولة يه-لو-تاشي باسم (سلالة سي لياو) نسبة الى اسرة لياو التي حكمت شمال الصين وعن سبب نعتها بدولة لياو الغربية وذلك لانها تقع الى الغرب من الصين (٣٥)

امتد حكم القراخطاي على مناطق واسعة امتدت من بلاد الخوارزم الى بلاد لايغور والواقع ان القراخطاي لم يندفوا بعيدا" بل وقفوا عند حدود نهر جيحون لكنهم استولوا بعد مدة وجيزة على مدينة بلخ الواقعة جنوب نهر جيحون ودخلت تحت حكمهم البلاد الاسلامية في اسيا الوسطى(٣٦) ورغم من انهم لم يتملكوا في الصين الا ان الصينيين كانوا يرون ان القراخطاي (سلالة لياو)من ذرية امبراطور الصين فاضفى عليهم المؤرخون الصينيون –طبقا للاصول المتبعة عندهم – اسماء سنوات الملك وبها تضبط الاحداث التاريخية والاستثناء الذي حصل علية القراخطاي ناجم عن مدى تمثلهم لحضارة الصين مما جعل الصينين لايعدونهم اجانب وافدين عليهم (٣٧)

كانت دولة القراخطاي بمنأى عن القلاقل التي يسببها وجود القبائل والنظام الاقطاعي وهي قلاقل التي كانت تعم بها الدولة التركية البدوية ومما يميز دولة القراخطاي عن غيرها من دول السهوب في اسيا الوسطى هو تولي النساء الحكم اذا استمر القراخطاي على تقليد مشاركة المراة بالحكم ،فقد ذكر تاريخ لياو (Liao-shih)،العديد من النساء اللواتي كان لهن دور مهم في تاريخ الكيتان او القراخطاي ، وابرزهن كانت ارملة اباوكي التي حافظت على عرش دولة الكيتان دون حدوث صراع على السلطة بين ابناء أباوكي (Apaoki) ،أي الامبراطور تاي زو (Tai Zu) (٣٨) كذلك ارملة يه لو داشي (تا- بو- ين) (Ta-Pu-Yen) التي اصبحت وصية على العرش لمدة ثمان سنوات باسم الكورخانة (كان –تئين)(Kan-Tien) (٥٣٩-٥٤٥ هـ/١١٤٤-١١٥٠م) لحين بلوغ ابنها السن القانوني (٣٩)، الا ان لبرز النساء القراخطائيات كانت (بو- سو- وان) (Pu-Su-Wan) ابنة الكورخان (أي-ليه) (I-Leih) (٥٤٦-٥٥٧ هـ/ ١١٥١-١١٦١) التي استغلت صغر سن اخيها فاعتلت العرش باسم (جينك- تين)(Cheng-Tien) (٥٦٠-٥٧٣ هـ / ١١٦٤-١١٧٧م)

وحدث في عهدها ثورة عارمة على اثر سوء تصرف عشيقها ،فقتلتة امام الناس ،لتوقف الغليان الشعبي ضدها (٤٠)

لقد ادى تدخل النساء في الحكم او اعتلائهن السلطة الى ضعف دولة القراخطاي التي دخلت في عهد اخر كورخاناتها (يلو – جي- لو- كو) (Ylu-Chl-Lu-Ku) (٥٧٥-٦٠٨ هـ/١١٧٩- ١٢١١م) ، في صراع ويل مع الخوارزميين والغوريين ارهقت على اثر هذة الحروب الدولة القراخطائية ، فاستعان الكورخان بـ(كوتشك- خان) (Kutchluk) زعيم النايمان ، الطريد الهارب من قبضة المغول لاجل مساعدتة ضد الخوارزميين الا ان هذا الطريد استغل ضعف الكورخان وكبر سنة وغتصب العرش منة منهيا" بذلك دولة القراخطاي فكان هذا السقوط قد صب في نهاية في صالح جنكيز خان الذيوسع نفوذة في اسيا الوسطى (٤١)

سياسة القراخطاي في آسيا الوسطى

كانت اسرة (لياو) اكثر الاسر الاجنبية التي حكمت شمال غرب الصين تمثلا للحضارة الصينية (٤٢) فبعد خروجهم من الصين وتوطينهم في اسيا الوسطى ظلوا يستعملون اللغة الصينية لغة رسمية لهم ، واستخدموا الادارة الصينية في حكم البلاد (٤٣)

لقد اكتفوا بأخذ ضريبة رمزية ، دينار ذهبي من كل اسرة في السنة الواحدة وهذا مكان متبعا" في الصين (٤٤) لذا نرى القراخطاي خلال مدة حكمهم يقومون بتعداد سكاني للاسر التي تحت سلطانهم اونفوذهم وذلك زمن الكورخان أي –ليه (I-Leih) (٥٦٤-٥٥٧ هـ/ ١١٥١-١١٦١ م) (٤٥) ويبدوا ان إجراء القراخطاي هذا هو للحد من عملية السرقة والابتزاز اثناء عملية جمع الضرائب من قبل الجباه ،او لمعرفة عدد القادرين على حمل السلاح .

لقد كانت دولة القراخطاي من الدول البدوية التي لم تعرف الانقسام ،فذكر المؤرخين ان الكورخان لم يراس احد على اكثر من مائة فارس (٤٦) وقد يكون سبب التجاء الكورخان الى هذا العمل خوفا" من استغلال كثرة الجند وبالتالي الى طمعهم بالسلطة .

ان مبدأ الحكم الذاتي كان متبعا لدى القراخطاي على نطاق واسع في الامارات الداخلية في دولتهم ، ولم يشذ عن هذة الحالة الا مدينة بلاسغون التي انهى فيها الكورخان حكم القراخانيين (٤٧) وظلوا يحكمون في كاشغر وما وراء النهر ، وظلت الاسر الحاكمة القديمة تتولى في خوارزم في الغرب وبلاد الايغور في الشرق ، وكانت طاعة الكورخان عبارة عن دفع الجزية له ، ومع ذلك فقد كان الكورخان ممثلا في عواصم الولايات ذات الحكم الذاتي كما في الدولة الايغورية(٤٨) وكان هذا المظهر من مظاهر التبعية يتغير احيانا" ،فيأخذ شكلا" لا يخلو من الحظوه فكان ممثل الكورخان لايذهب الى الخان الااخذ الجزية فاذا اخذها انصرف وكان الخان يحظى بحق ارسال الجزية الى الكورخان بنفسة كما في الدولة الخورارزمية والدولة القراخانية (٤٩) .

الا ان سياسة القراخطائية تجاه الشعوب التي خضعت لهم كانت سياسة متزنة تنم عن بعد نظر وتسامح ديني فهم لم يتدخلوا في شؤون الناس العامة لاسيما الدينية على الرغم من ان القراخطاي كانت تدين بالديانة البوذية والشعوب التي خضعت لهم كانت ذات اصول ثقافية وحضارية متباينة الا انها ظلت تنعم بالحرية الدينة (٥٠)

ذكرت المصادر الاسلامية ان القراخطاي بعد انتصارهم على السلاجقة في معركة قطوان (٥٣٧هـ/ ١١٤٣م) وخضوع ما وراء النهر لسلطتهم عينوا احد ابناء الخوارزميين وهو البتكين ابن اخي اتسز حاكما على بخارى ،فساء هذا الخوارزمي معاملة الاهالي وتمادى في ظلمهم ،فتذمر الناس واشتكوا من ظلم البتكين وما ان وصلت الاخبار الى الكورخان حتى كتب رسالة بالفارسية وعلى طريقة المسلمين يتهدده ويتوعده بعبارة " بسم الله الرحمن الرحيم وانهاها بلفظ والسلام وقد وضح ان بعد المسافة لايبعده عن سخطه ورضاه ، الى ان قال وان عليه ان يفعل ما امربه محمد صلى الله علية واله وسلم .... "(٥١)

اعطت هذه السياسة ثمارها للقراخطاي الذين نالوا احترام الشعوب الاسلامية التي كانت خاضعة لهم في اسيا الوسطى ، فاستطاعوا ان يكسبوا الاهالي الى جانبهم لاسيما في حروبهم مع القوى الاسلامية كالدولة السلجوقية والدولة الخوارزمية،فكان هذا احد الاسباب في فشل السلاطين

الخوارزميين في القضاء على نفوذ القراخطاي في ماوراء النهر قبل القرن ٧هـ/١٣م (٥٢)

كما ان القراخطاي استمالوا كبار رجال الدين المسلمين في آسيا الوسطى مستغلين ما لهؤلاء الفقهاء ورجال الدين من نفوذ ديني على الناس فاستعانوا بهم في حكم البلاد (٥٣) فأضحى للاسر الدينية نفوذ كبير مثل اسرة ال برهان ،التي كان يلقب زعمائها بـ(صدر جهان) أي (صدر العالم)الذين استغلوا نفوذهم الديني ودعم القراخطاي لهم ، فاساءوا معاملة الاهالي وبالتالي ادى الى انتفاضة اهالي بخارى ضدهم (٥٤)

ان موقف الشعوب الاسلامية في اسيا الوسطى سرعان ماتغير في اواخر عهد الكورخان (يلو –جي – لو – كو) حين اخذت سياسة القراخطاي تجاه تلك الشعوب منحا اخر فقد اساء عمال القراخطاي وجباه ضرائبهم معاملة الاهالي ،مما دعا الاهالي بالاستنجاد بالسلطان الخوارزمي الذي استفاد من تذمر اهالي ماوراء النهر فنجح في هزيمة القراخطاي وتخليص ماوراء النهر من نفوذهم (٥٥)

الهوامش

١)لمزيد من التفاصيل عن اصل القراخطاي ،ينظر: XU Elina _ Qiam: Historical Development of the pre-Dynastic Khitan a Thesis submitted to the Faculty of Art at University of Helsinki Kpp.83-89.

٢)عرفت مناطق شمال غرب الصين عند العرب والمسلمين باسم بلاد الخطا نسبة الى حكم الكيتان (الخطا) وظل هذا الاسم شائعاً حتى سقوط دولة الخطا هناك في القرن الثاني عشر الميلادي /السادس الهجري وعرف القسم الجنوبي من البلاد باسم الصين ،المشتقة من الكلمة الفارسية(جين) ، بينما ظلت تسمية الخطا او الختا تطلق على الصين في العصور الوسطى والحديثة من قبل الاوربيين عن هذا الموضوع ينظر: أي دان : تاريخ جين از جامع التواريخ، (مركز داشينكا هي تهران، تهران،١٣٧٩)ص١٥٨ اول ما اطلق على هذه الدولة حين تاسست اسم دولة الكيتان العظيمة واستمرت هذه التسمية حتى عام ٩٣٨ م/ هـ حين غيرت من الكيتان الى الياو العظيمة وظلت هذه التسمية حتى عام ٩٨٣م ثم ارجعت الى اسمها القديم دولة الكيتان العظيمة لكن في عام ١٠٦٦م/٤٥٩هـ ارجع اسمها الى دولة الياو العضيمة وبقيت بهذا الاسم حتى سقوطها عن دولة الكيتان ينظر:

Wittfogel Karl&feng Chia _ sheng:History of Chinese Society : Liao(907_1125) Philadelphia ,American Philosophical Societ , 1949 , P.41.

(3)Eberhard , W:History of China (London , 1960) , pp.180-182.

(4)Bai Shouyi Ed : An Outline of China (Foreeagn Language Press , Beijing ,1982) pp.276-277.

(5)Fitzgerald , C.P: China Short Cultural (London , 1935) , p .373.

(6)Sinor , D: the Kitan and the Kara Khitay , article in H.C.O.C.A , (UNESCO 1980) , pp.227-228.

(٧) تاي زو (Tai ZU) هو مؤسس امبراطورية الكيتان ، يعرف باسم : اباوكي (aPaoki) نجح في القضاء على زعماء القبائل الكيتانية واعتلى عرش الكيتان واتخذ لقباً امبراطورياً صينياً وهو تاي زو (Tai-Zu) وحكم ٩١٦-٩٢٦ م ،والذي اعطى طابعاً اسطورياً فيذكرالتاريخ الصيني(Liao _Shih) ان اباوكي ولد من اشعة الشمس عن هذا الموضوع ينظر:.229. Sinor:OP.Cit ,p

(8) Bretschnieder: Medieval Research from Eastern Asiatic Sources , (London ,1967) ,V1 ,pp.211-212.

(9)Bretschnider :Op.Cit , V1 ,pp.211-212.

(10)Bretschnider : Op .Cit , V1,p.212

(11)Ibid , p.212.

(12)Sinor: Op .Cit , p.230

(١٣)ذكر التاريخ السري لاسرة لياو عن فتاة كانت تمتطي ثوراً اسود وشاب يمتطي حصان ابيض يسيران على ضفتي نهر لياو في شمال غرب الصين ، وانهم التقوا في نقطة مصب النهر ،وتناسلوا، واصبح لديهم ثماني اولاد اصبحوا فيما بعد القبائل الكيتانية الثمانية الرئيسة التي تكون الشعب الكيتاني ،لذا كان الحصان الابيض والثور الاسود من الحيوانات المقدسة عند القراخطاي ، وانهم يلجأون الى هذا العمل اذا ارادوا الرحيل فيبتغون اتجاه تدفق دم الاضحية لتي يتقدمون بها للالهه ٠ عن هذا الموضوع ينظر. Bretschnider : Op.Cit ,V2,p.42,Sinor:Op.Cit.

(14)Juvaini : The History of The World Conqueror , Translated from the Mirza Muhammad Qazvini by J.A. boyle (University of Manchester , press , 1958) . V1,P.355

(١٥)بارتولد:تاريخ الترك ،ص ١٢٢ ٠

(16)Juvaini: Op.Cit , p 44.

(١٧) هنا اراد يه_لو- تاشي ان يذكر ايديقوت ،بما فعله الامبراطور الكيتاني اباوكي حين احتل منغوليا وطرد قبائل القرقيز التي اسقطت دولة الايغور ، وطلب من الايغور العودة الى منغوليا موطنهم الاصلي لكن الايغور رفضوا طلب اباوكي ؛ لانهم اعتادوا حياة الاستقرار ولمسوا الحضارة ، ونسوا حياة البداوة والترحال،عن هذا الموضوع ينظر: Geng Shimin :The Uighur Kingdom of Kocho H.C.O.C.A pp.202-203

(١٨) تذكر المصادر الصينية ان حاكم الايغور اهدى-لو-تاشي ٦٠٠ حصان و ١٠٠ جمل و ٣٠٠٠ خروف ولتاكيد حسن نواياه ارسل برفقته حفيده ومن ثم اعلن خضوعه له ولم يكن قبل ذلك من اتباعه والخاضعين له ٠ عن هذا الموضوع ينظر:

Bretschnider : Op .Cit , V1 ,p213 ,E.H. parker: Op .Cit ,p.269.Bretschnider :Op.Cit , V2, p.27.

(19) Juvaini : Op.Cit, V1, p.256.

(20) Bretschnider :Op.Cit , V1, p.213

(٢١) رشيد الدين فضل الله:جامع التواريخ ،بكوشش ،بهمن كريمي(تهران:١٣٧٤)مج١ ،ص ٢٣٦ ٠

(22)Erdogan:Op.Cit,p.76

(٢٣)ابن الاثير ،ابو الحسن علي بن ابي كرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني :الكامل في التاريخ ،تحقيق علي شيري ،(دار احياء التراث ،بيروت -٢٠٠٤م)ط١ ،ج٩ ،ص ٢٨٤ ٠

(٢٤)هو لقب ايغوري يعني ملك التركمان

(٢٥) سعاد الطائي :القراخانيين ،ص٥ ٠

(26) Erdogan:Op.Cit,p.80

Haworth:H.H:History of the Mongols from the 9th to the 19 contury
(London . 1927-1968). Part 1.p.6

(28)Juvaini :op.cit,p.256.

(29)Bretschnider:op.cit,v1,p.214.

(٤)أنظر الخارطة رقم -٢-في الملحق رقم -١-

(٣٠) ذكر ابن الأثير أن معنى كورخان أي الملك الأعور لان كلمة كورفي الفارسية تعنى الأعور ،وترجم المستشرق بيتسجنايدر أسم كورخان الكسيج، أبن الأثير:الكامل :ج٩،ص٢٨٤؛ Bretschnider:,v1,op.cit p.21

(٣١) حكم القراخطاي في أسيا الوسطى ما يقارب ٨٦ عاما" من سنة٥٥١٩٦٠٨ه/١١٢٥-١٢١١م،وعن تاريخ حكم كورخانات القراخطاي ينظر الملحق رقمك -١-

Eberhard:Op.Cit,p.227

(32)Bretschnider: ,op.cit p.210.

(٣٤)عباس أقبال :تاريخ المغول من حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية ،ترجمة عبد الوهاب علوب (المجمع الثقافي ،أبوظبي :٢٠٠٠)،ص ٢٤،-٢٥.

(35)Grousset :op.cit ,p.228.

وعن استعانة جنكيزخان بالكيتان ، ينظر:

Hok-lam cham :Chinese official Historiography at the yuan court :
The composition of the liao , chin , and sung Histories ,Article in china under Mongol Rule Edited by john D.langlois , (New jersey ,1981) ,pp.56-106.

(36)Sinor :op.cit,p.242 .

(٣٧)بارتولد :تاريخ الترك ،ص ١٢٠ وانك أي دان : المصدر السابق ،ص١٢٧

(٣٨)سوف نعالج هذا الموضوع في الفصل الثالث ، في صراع القراخطاي مع القوى الأسلامية ٠

(٣٩)بارتولد :تاريخ الترك ،ص١٢٠.

(40)Grousset:op.cit,p.129-130.

(41)Sinor:op .cit,p.238-9.

(٤٢)بعض المصادر تذكر أن الكورخانة أقامت علاقة غير شرعية مع شقيق زوجها مستغلة غيابة اذ كان يقود الحملات ضد الخوارزميين وفأثارت بتصرفاتها هذه الشعب القراخطائي ، ألا أنها تلافت الموقف حين أقدمت على أعدام عشيقها بينما المصادر الصينية تذكر أنها أعدمت معه ٠ حول هذا الموضوع ينظر : بارتولد : تارخ الترك ،ص ١٢٦-١٢٧؛

Bretschnider:op.cit , v1,p.229 . sinor :op .cit,pp.239-240.

(43)Grousset:op .cit ,p.165.

(٤٤)تذكر المصادر الصينية أن أباوكي مؤسس دولة الكيتان استعان في بناء دولته بالصينيين الذين وقعوا أسرى بيدة بعد احتلاله الأقاليم الصينية ،فظهر لدى الكيتان جبل متأثر بالحضارة الصينية أضافة الى ذالك كان اغلب وزراء الكيتان من الصينيين عن هذا الموضوع ينظر :

Baishouyi Ed :op.cit,p.273.

(45) Sinor:op.cit,pp.239.

(٤٦)ابن الأثير:الكامل ،ج٩،ص٢٨٤،رشيد الدين :جامع ،ج١،صص٢٣٥-٢٣٦؛

Bretschnider p.231. OP.Cit V1

(47) Barthold"Qara-khitai"E.I,v4,p.580-2:Ibid,p, .

(٤٨)ابن الأثير : الكامل ،ج٩،ص،٢٨٤، بارتولد :تاريخ الترك ،ص ١٢٥.

Barthold :four studies,v.1,p.103.

(49)

(٥٠)لقد كانت لغطر*سة ممثل الكورخان والمدعو (شوكن) في العاصمة الأيغورية (بيش باليغ)،أن جعل الدولة الأيغورية تخلع طاعة القراخطاي وتقتل ممثل الكورخان وتعترف بتبعيتها للمغول . عن هذا الموضوع ينظر :رشيد الدين :جامع ،ج١،ص٣٠٩.

(٥١) أذ كان ممثل الخان تيذهب الى الدولة الخوارزمية سنويا" لأحضارالجزية ، الذي كثيرا"ماتؤدي غطرسة وتحكم المبعوثين الى مقتلهم في النهاية على يد الخوارزميين ،أما القراخانيين فكانوا يرسلون الجزية الى مقر الكورخان بأنفسهم ،ودليل ذلك أن خان ماوراء النهر القراخاني عثمان ، أعجب بابنة الكورخان التي شاهدها على مايبدو خلال زيارتة لبلاط الكورخان لدفع الجزية عن هذا الموضوع ينظر
بارتولد:تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ،نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم
(المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب،الكويت:١٩٨٦)،ط٤٩١،ص ٥١٣ ٠

(52)Barthold :Ibid,p.105:sinor:op.cit,pp.238-239.

(٥٣)سمرقندي ،أحمد بن عمر بن علي نظامي عروضي :جهار مقالة ،نقله الى العربية :عبد الوهاب عزام ويحيى خشاب ،(مطبعة لجنة التأليف واللرجمة والنشر ، القاهرة،١٩٤٩)،ص٣١ ٠

(٥٤)هذا مايبرراتخاذ أهالي ماوراء النهر جانب القراخطائي خلال الصراع القراخطائي الخوارزمي ،ودفاع أهل بخارى عن المدينة مع القوات القراخطائية خلال حصار خوارزم لها عن هذا الموضوع ينظر:
أبن العبري ،غريغوس الملطي :تاريخ مختصرالدول ،ترجمة أنطوان صالحاني
(المكتبة الكاثوليكية ،بيروت:١٩٥٨)،ص٢٢٥ ٠

(٥٥)ومن أمثلة ذلك استعانة القراخطاي بالأمام أحمد بن عبد العزيز الذي كانت له الكلمة النافذة في عصره ،فنصبة القراخطاي اماما وحكما" على بخارى ،ويلاحظ أن هذا التنصيب جاء بعد حكم البتتكين لبخارى ،فأستطاع الأمام أحمد بفضل ما يتمتع به هذا رجل من احترام بين الأهالي بسبب علمه وتقواة أن تكون له الكلمة المسموعة عن هذا الموضوع ينظر :سمرقندي :جهارمقالة ،ص٣١؛بارتولد: تركتسان ،ص٥٠٩ ٠

(٥٦)يرجع أصل هذه الأسرة الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب التي ظلت تحكم حتى العصر المغولي للتفاصيل عن هذه الأسرة ينظر:
بارتولد:ال برهان ،دائرة المعارف الأسلامية ،ج٧،ص ص ١٤٩-١٥١.

(٥٧)عن هذا الموضوع انظر الصراع القراخطائي – الخوارزمي ،الفصل الثالث٠

(*١)أميل: هو احد انهار تركستان الصينية ،يسمى في الصينية ye-mi-shi انشأ القراخطاي لهم مدينة على احد جوانبه والنهر ينبع من جبال تيان شان ويصب في بحيرة الاك كول٠

(*٢)بيش-باليق: وهي عاصمة دولة الايغور وتعني في اللغة التركية المدن الخمسة وتقع في تركستان الصينية في الاقسام الجنوبية الشرقية من منحدرات تيان شان ٠

(*٣)التركستان :هو اسم جامع لجميع بلاد الترك وهو اقليم فسيح المدى واكثر اهل هذا الاقليم اهل خيام ومنهم اهل قرى،صفات سكانهم عراض الوجوه فطس الانوف ،طعامهم لحوم الحيوانات وتكثر في ارضهم معادن عدة من اكثرها اللازورد ويكثر عندهم المسك واكثر الحيوانات انتشاراً لديهم السنجاب والسمور والثعالب السود والارانب البيض ٠الحموي :معجم البلدان ،ج٢ ،ص٢٣ ٠

(*٤)ختن :مدينة دون كاشر ووراء اوزكندي وهي من مدن التركستان وتقع بين جبال وسط بلاد الترك٠
الحموي:معجم البلدان ، ج٢ ٠ ص٣٤٧

(*٥)فرغانة :مدينة واسعة في ماوراء النهر متخامة لبلاد التركستان في زاوية من زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك الحموي :معجم الابلدان ،ج٤،ص٢٥٣ ٠